دور التربية الأسرية في بناء
منظومة القيم الاجتماعية عند الأبناء

أحمد حسين علّيق[1]

تُعدّ السنوات الأولى من حياة الطفل من أهم الفترات في تكوين شخصيته، وتحديد ملامحها الرئيسة، فالأسرة هي المجال التربوي المهم الذي يوجد فيه الطفل، ويتفاعل معه وينمو فيه، ويتلقى تربيته الأساسية، وهي التي تنقل لطفلها ثقافة الجماعة التي ينتمي إليها، وهي ترعاه عاطفيًا وفكريًا واجتماعيًا.

والأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى في المجتمع والنظام الاجتماعي الذي يشكل سلوك الأفراد، ولها الدور الفعّال في تنشئة الأجيال بما ينسجم مع قيم المجتمع، وأنظمته وأعرافه، فهي تبني الأخلاق كما تبني الأجساد، وتقوم بالتطبيع الاجتماعي بما تحدثه من نقل لثقافة المجتمع، وتراثه، وقوانينه، ومفاهيمه، وعاداته، وتقاليده إلى الفرد منذ طفولته وتحقيق الهوية الاجتماعية.

إن التربية عملية اجتماعية هادفة تعكس طبيعة المجتمع، وأهدافه، وفلسفته، وآماله وطموحه، وتتوافق مع عملية التغيير الاجتماعي نتيجة تطور الفكر البشري، فإن خاصية الأسرة من تنوع وتباين في أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء بتنوع المناطق الجغرافية، وتباين المستويات الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، ولا سيّما بالنسبة إلى الطفل في مرحلة طفولته المبكرة. وهذا ما يجعله أكثر إحساسًا بالأمن والاستقرار حتى سنّ السادسة، حيث ينتقل إلى المدرسة إضافة إلى استمرار التربية الأسرية.

إن الطفل يتلقى أول درس في العلاقات الإنسانية من والديه في جوّ الأسرة المنزلية، فالأسرة هي مصدر الحبّ والقيم والمعارف، ولها إسهامها في اتزان شخصيات الأبناء، وضبط سلوكهم، وتشكيل وعيهم، وإدراكهم للذات وللمجتمع، مع فهم الدور الوظيفي الذي ينبغي أن يؤدوه كأعضاء فاعلين في أسرهم ومجتمعهم للخروج من المحيط الذاتي إلى المجتمع، يسعون إلى التواصل مع الآخرين، والتكيف معهم بأساليب راقية، وعلاقات إنسانية سامية[2].

وبما أن العملية التربوية هي مسؤولية الأسرة أولًا، والمجتمع ثانيًا، لذلك فالأسرة هي المصنع الأول للكائن الاجتماعي، وينبغي أن تحقق الأسرة عدة خصائص ضرورية لتتمكن من أداء دورها التربوي وفق منظومة القيم الاجتماعية، وفي ضوء التغيرات الثقافية، والاجتماعية المتلاحقة من رعاية عضوية، وخلق الشعور بالأمن، والراحة، والاستقرار، والاطمئنان.

فالكائن البشري لا يولد ولديه صفات جاهزة من ناحية القيم، أي لا يرثها الإنسان من أسلافه بالطرق البيولوجية، بل يبدأ الطفل بتشرب وامتصاص قيم المجتمع من الكبار المحيطين به وفق نضجه الجسمي

والانفعالي من جهة، ومن خلال التربية الأسرية التي تكسبه الخبرات لتحديد القيم، والتربية التي تكسبه المعايير للحكم على سلوكه وسلوك الآخرين من جهة ثانية[3].

وقد شغل موضوع القيم اهتمام الكثيرين من الفلاسفة والمفكرين منذ طفولة الفكر الإنساني، على أن الاهتمام الجدي بدراسة القيم وإخضاعها للبحث العلمي الموضوعي من جانب العلماء والباحثين، لم يظهر إلا في العقود القليلة الماضية.

ولعل من أهم العوامل التي حتمت ضرورة دراسة القيم دراسة علمية، ما أحدثته الثورة العلمية التكنولوجية وغيرها من عوامل التغير الثقافي، من إعادة تكوين الكثير من معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة، وتقويض أكثر تصورات الإنسان عن ذاته وعن عالمه، وهو ما أدى على نحو كبير إلى التذبذب وعدم الاستقرار في القيم الموروثة والمكتسبة على السواء، وعدم مقدرة عدد كبير من أفراد المجتمع، وبخاصة الشباب، على التمييز الواضح بين ما هو صواب وما هو خطأ[4]. فهذا يؤكد دور الأسرة التربوي في بناء منظومة القيم الاجتماعية السليمة بكل أبعادها ومضامينها.

أولًا: مشكلة البحث

تعمل الأسرة بحسب وظيفتها الاجتماعية على تنشئة أبنائها وفق منظومة القيم السائدة في المجتمع.

لكن تلك التطورات المتسارعة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ألقت على عاتق الأسرة مسؤولية كبيرة أمام ثورة المعلومات والمعارف، والتطور التكنولوجي، وما نتج منها من تعقد الحياة الأسرية والاجتماعية في جوانبها المختلفة، أدت إلى اختلال في بعض القيم، وميل الأبناء الى التحرر من القيود الأسرية، بسبب ضعف التأثير التربوي للأسرة. ومما يلاحظ في الآونة الأخيرة، أن التفاوت أصبح كبيرًا في أساليب التربية الأسرية، ولا سيما تعرض الأطفال للخبرات الاجتماعية، سواء داخل الأسرة أو خارجها، بسبب عدم قدرة الأسرة على استيعاب هذه التغيرات المتسارعة واختلاف الأساليب التي يتبعها الوالدون.

وهنا تكمن مشكلة البحث في السؤال التالي: كيف تؤدي الأسرة دورها التربوي المطلوب في عملية التنشئة الاجتماعية في ظروفها الحالية، وفي مواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبما يتوافق مع المعايير الاجتماعية والاخلاقية السائدة في المجتمع؟

ثانيًا: أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من:

– أهمية الأسرة التي يقع على عاتقها تربية الطفل بيولوجيًا واجتماعيًا ضمن إطار الجماعة التي يتأثر بمعاييرها ونظمها وعاداتها وتقاليدها وتركيبها. ولأهميتها كنظام تربوي من حيث كيانها ووظائفها وأدوارها في التماسك والانسجام والتوافق مع التطورات والتغيرات الاجتماعية والثقافية والتي هي حقيقة الوجود البشري، وأن تقوم بالمفاعلة والتفاعل بين معتقداتها وقيمها واتجاهاتها لتنسجم مع العصر الحديث المتطور بسرعة في ضوء الانفجار المعرفي وثورة الاتصالات.

– أهمية القيم، فهي تعمل بوصفها معايير لاختيار الفعل والأهداف، وتساعد على إعطاء توجيه وتنظيم للعقل سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي، وهي تمثل المعايير النظرية الناظمة لأفعال الشباب وتصرفاتهم التي من خلالها نستطيع أن نحكم على تصرفاتهم وسلوكهم وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه من أنماط السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير.

– طبيعة المرحلة التي نمرّ بها، وهي ثورة الاتصالات والمعلومات، وتعدد وسائلها وتقنياتها وتعاظم أثرها في جميع جوانب الحياة، ولعل عظيم أثرها يظهر في الجانب الأخلاقي والقيمي عند من هم في بدايات تكوين اتجاهاتهم وقيمهم وهم فئة الشباب الذين استأثرتهم تقنيات الاتصال والمعلومات.

– المكانة التي يحتلها الشباب في تركيبة المجتمع، ومما يمثلونه من دعامة أساس ترتكز عليها نهضته وتقدمه، فهم نواة التغيير الاجتماعي لما لديهم من قوة وطاقة وقدرة على التجديد والعطاء وهم نواة التغيير الاقتصادي لما يمتلكون من طاقات إنتاجية شابة، وهم أداة التنمية وغايتها ولهذا تنمية حقيقية فعّالة من دون الاعتماد على فئة الشباب كونهم أداة لتنفيذها، ولا تنمية شاملة إذا لم نولهم الرعاية الكاملة ونعمل على تحقيق مطالبهم الطموحة البنّاءة.

– الاستفادة من هذا البحث في زيادة الوعي الأسري في التربية الاجتماعية، بما يخدم الأسرة والمجتمع، وترسيخ الايجابيات في القيم الاجتماعية المتطورة، وتجاوز السلبيات التي تعوق تطور المجتمع.

ثالثًا: أهداف البحث

أ– إن الهدف الرئيس للدراسة الحالية يتمثل في تعرّف طبيعة التربية الأسرية، ودورها في تنمية منظومة القيم الاجتماعية السائدة، في إطار تماسك الأسرة، وتوافقها مع المتغيرات الاجتماعية والثقافية، وانسجامها مع روح العصر ولا سيما ثورة الاتصالات.

ب– معرفة الأساليب الأسرية في تربية الأبناء وفق القيم السائدة، وبما يحقق التوافق بين دائرتي الأسرة والمجتمع.

ج– التوصل إلى مقترحات تفيد في تدعيم دور الأسرة في التربية الاجتماعية، باعتبارها المؤسسة التربوية الأولى التي تضع أسس بناء شخصية الفرد المستقبلية.

رابعًا: الأسرة ودورها التربوي

الأسرة نظام اجتماعي بين مجموعة نظم رئيسة منها النظام الاقتصادي والتربوي والسياسي، وإن فهم هذه النظم يؤدي إلى فهم المجتمع نظرًا لما لديها من علاقات وتأثيرات متبادلة حيث تمثل الأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية، لأنها اللبنة الاجتماعية الأولى في حياة البشر.

أ– مفهوم الأسرة

تؤدي الأسرة دورًا مهمًا في المجتمع، فعلى عاتقها يقع الدور الكبير في تنشئة الأبناء وتعليمهم المبادىء الأساسية للحياة والمفاهيم الأولى للمجتمع. فالأسرة هي إحدى المؤسسات التربوية التي تؤدي وظائف مهمة في حياة الأبناء منذ اليوم

الأول، متمثلة في أساليب رعاية الطفل، والاهتمام بغذائه وتربيته على قيم العائلة وعاداتها ومبادئها بما يتناسب مع طبيعة المجتمع الثقافية والدينية والاقتصادية. كل ذلك يؤثر على تكوين شخصية الأبناء، ويبقى تأثير الأسرة قويًّا على استقلالية الأبناء ونمو شخصيتهم. وإذا كان معنى الأسرة لغويًّا بمعنى "عشيرة الرجل وأهل بيته"[5]، فإن كلمة أسرة مشتقة من الأسرة اختياريًّا بما يرتضيه الإنسان لنفسه، ويفهم منه العبء الملقى على الإنسان أي مسؤولية.

ونظرًا إلى تعدد أنماط الأسرة، فإنه من الصعب تقديم تعريف كامل لها، وسنقدم بعض التعريفات للأسرة منها:

تعريف برجس ولوك: الأسرة كل جماعة من الأفراد تربطهم روابط قويّة ناتجة من صلات الزواج- الدم، وهذه الجماعة تعيش في دار واحدة، وتربط بين أعضائها الأب والأم والابن والبنت علاقات متماسكة، أساسها المصالح والأهداف المشتركة[6].

تعريف روي رود جرز: الأسرة منظومة نصف مغلقة من أناس فاعلين يحتلون مواقع متداخلة يحددها المجتمع الذي تكون فيه منظومة العائلة جزءًا مزيدًا بالنسبة إلى تلك المنظومة، وذلك فيما يتعلق بمحتوى دور المواقع وبأفكار وصلات القربى، وتتغير تعريفات المحتوى الموقعي على مدى تاريخ الجماعة[7].

تعريف صفوح الأخرس: الأسرة كل جماعة من الناس يشتركون معًا في المسكن، وترتيبات المعيشة، وتربطهم جميعًا صلة قرابة قويّة، قائمة على روابط الدم أو المصاهرة أو التبني والإدعاء[8].

تعريف مصطفى الخشاب: أن الأسرة هي الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب استقرار المجتمع وتطوره[9].

استنادًا إلى التعريفات السابقة يمكن القول إن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية والتربوية الأولى في المجتمع تقوم نتيجة زواج شرعي وقانوني يعترف به المجتمع، وتتشكل من زوج وزوجة وأبناء، وتتضمن شبكة علاقات من الحقوق والواجبات تقوم على التفاعل وفق الأدوار المحددة لأفرادها، وتهدف إلى تشكيل شخصية الفرد المتكاملة، والمشبعة عاطفيًّا والمتلائمة مع القيم الاجتماعية.

ب- **الروابط الأسرية**

تقوم الرابطة الأسرية على الزواج، وعليه يتأسس صرح الأسرة اجتماعيًّا، وتسبقه مرحلة التوافق النفسي والتفاهم العائلي بين الزوجين من خلال الاختيار حيث يحكّم الفرد عقله وتفكيره إلى جانب عاطفته ورغباته.

1- الرابطة الشرعية القانونية: وتشكل الأهمية الأولى لتكوين الأسرة مفهومًا وواقعًا، ومن دونها يصبح وجود الأب والأم معًا غير قانوني وغير شرعي.

2- الرابطة البيولوجية: وتعني الصلة الدموية ووراثة التركيبة الفيزيولوجية.

3- الرابطة النفسية: حيث يتلقى أفراد الأسرة نوعين من الروابط النفسية هما الميول والآمال، والالتزام، ثم الغرائز والذكاء والخصائص الشخصية العامة.

4- الرابطة الاجتماعية: الأسرة هي نواة المجتمع، وما المجتمع في الواقع سوى مجموع الأسر المتجانسة عمومًا، بأخلاقياتها وأعرافها وتقاليدها وسلوكياتها اليومية[10].

مكونات الأسرة: تتكون الأسرة من:

5- الزوجة أو الأم: هي التي تعطي المعنى القيمي فيما يتعلق بالخير والشر، والمناسب وغير المناسب، والجميل والقبيح، والمفيد والضار، والجوهري والثانوي حيث يمثل سلوكها التأثير الأهم في شخصية الطفل ونموه الاجتماعي[11].

6- الزوج أو الأب: ويكون مؤهلًا لتكوين أسرة، وفاعلًا في البيئة الأسرية إذا كان ديمقراطيًّا لا يستبدّ بكل بكل صغيرة وكبيرة في شؤون الأسرة، ويشعر أفراد أسرته بعطفه وحنوه، وتواضعه، لا يحكمهم بالتهديد والوعيد والضرب والحرمان، بل يوفر لهم حاجاتهم البيولوجية والفيزيولوجية والأمنية والاجتماعية[12].

7- الأبناء: هم الذين لا يعصون والديهم، ولا يقضون وقتهم مع شلل الأشقياء ويفرحون بفرح الأسرة، تكون علاقة بعضهم مع بعض علاقة زمالة ومناقشة، يتعلم الصغار احترام الكبار، وواجب الأهل مساعدة الأبناء على التعايش المشترك بإقامة مسؤوليات تتلاءم وعمر كل منهم، وعلى الأهل مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء.

ج- **وظائف الأسرة:**

الأسرة وسط اجتماعي وثقافي منظم، وهي بيئة تعليم وتدريب للطفل. فالوالدان معلّمان ينقلان للأبناء قيم المجتمع ومعاييره، ويقومان بانتقاء الثقافة المحيطة بما يتلاءم والتراث الثقافي التي تحاول الأسرة والمجتمع نقله الى الأجيال عبر عملية تربوية هادفة.

ويمكن اجمال وظائف الأسرة بما يلي:

1- **الوظيفة البيولوجية:** إن وظيفة الرعاية والتربية متغيرة بحسب نماذج المجتمعات.

2- **الوظيفة الاجتماعية:** هي الوظيفة الأساسية للأسرة، ولكي تتحقق لا بدّ من توافر الأمور التالية: النموذج الجيد من قبل الوالدين، تشجيع الأهل لأعمال الخير التي يقوم بها أطفالهم، اشتراك الأطفال مع آبائهم في المناسبات الاجتماعية لمعرفة السلوك المناسب، الاهتمام بالأخلاق الكريمة وحسن التصرف (صدق، أمانة، تضحية...)، احترام القوانين.

3- **الوظيفة النفسية:** إن لبنية الأسرة وخصائصها وحجمها والعلاقات السائدة فيها تأثيرًا كبيرًا على الطفل نفسيًّا وعاطفيًّا.

4- **الوظيفة التربوية:** تقوم هذه الوظيفة على تدريب الأطفال على العادات الفكرية الصحيحة، كالتفكير والمحاكاة والتصرف الصحيح الذكي والوعي، ومن ثم إكساب كل المفردات الثقافية[13].

5- **الوظيفة الأخلاقية:** يتمّ من خلالها تعريف الأطفال بالمبادىء الأخلاقية، والسلوك الأخلاقي المقبول من القدوة الحسنة المتمثلة بالأب والأم، وبالتالي تنمية العادات السلوكية المرغوب فيها.

د- **الدور التربوي للأسرة:** إن التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة يحقق الانتماء العاطفي، والارتباط الاجتماعي والبيولوجي، والتفاعل اللازم لنمو الطفل اجتماعيًّا

واستعداداته للتعامل مع الآخرين والتكيف معهم لكي تتكون شخصية سويّة من خلال اكتساب العادات والقيم الأساسية التي تنعكس في السلوك الإنساني.

دور الأب: هو المشاركة الفعّالة في تربية الأطفال مع الزوجة ضمانًا لصحة الطفل النفسيّة، التفاهم مع الأم لأن الازدواجية في التربية تخلق طفلًا متقلب المزاج، أن يكون المثل الأعلى والقدوة الصالحة لأطفاله، ومراعاة فلسفة النمو لأن شخصية الطفل تنمو تدريجيًا ويجب متابعتها خطوة بخطوة، تربية الطفل على المشاركة والحوار بالحبّ والصراحة، وغرس روح الانضباط والنظام.

دور الأم: يتأثر الطفل بشخصية أمه وصفاتها ونوع الرعاية التي تحيطه بها. وإن سعادة الأم في حياتها الزوجية تنعكس في تنشئة أطفالها، وعلى الأم أن تكون عطوفة على زوجها وأولادها، واعية وحافظة لحقوقهم، ومسؤولة حسنة التصرف عند غياب الزوج وفي حضوره، وحكيمة غير مستبدة، وذات شخصية سويّة غير متناقضة في قيمها وسلوكها[14].

هـ - التكامل بين دور الأب ودور الأم:

إن التربية تبدأ منذ ولادة الطفل وهي مسؤولية الأب والأم بالدرجة الأولى، فهما الحريصان على وحدة التربية الجسمانية والعقلية والأخلاقية والجمالية، ومراعاة القدرات النفسية والجسدية، حيث يتكامل دور الأب والأم في مجال إشباع حاجات الأبناء، والسلوك التوافقي من خلال تعليم الأبناء بالتدريج أساليب التفكير والمحاكاة لاختيار الرأي الأنسب.

خلاصة القول إن الأسرة هي البيئة الأولى/الاجتماعية والطبيعية والتربوية حيث يحدث الأبوان جملة من الأفعال والتأثيرات في الأبناء التي تؤدي إلى قيمة الحبّ والأمن والطمأنينة والمساواة والعدالة، من خلال تكامل دورهما، والتفاعل العائلي ضمن المناخ الأسري الصحيح في المنزل الذي يولد فيه الطفل وينشأ، ويتم إشباع حاجاته المتعددة للوصول إلى قيم اجتماعية جيدة.

خامسًا: من أهم العوامل التي حتمت ضرورة دراسة القيم دراسة علمية، (ما أحدثته الثورة العلمية التكنولوجية وغيرها من عوامل التغير الثقافي، من إعادة تكوين الكثير من معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة.

أ- **تعريف القيم:** لقد تعددت التعريفات التي تناولت القيم واختلفت وجهات النظر الذين تناولوها، وفي الواقع فإن كثرة التعريفات تعطي دليلًا واضحًا على أهمية موضوع القيم، وفي ضوء ذلك ينظر بعضهم إلى القيم على أنها تنظيم معقد لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء[15]، ومنهم من عرفها أن القيم تقوم مقام المعايير في توجيه السلوك لتحقيق عدة أهداف في حياتنا اليومية[16].

ب- **أهمية القيم:** تساعد على التنبؤ بما ستكون عليه المجتمعات، القيم والأخلاقيات الحميدة هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات، ومن ثم فهي تعدّ مؤشرات للحضارة، فالمجتمع الذي يحمل أفراده قيمًا وأخلاقيات مجتمع يتنبأ له بحضارة ورقي وازدهار، وإذا ما انهارت تلك

القيم والأخلاقيات سقطت الحضارة وأصبحت الأمم في طريقها إلى التخلف[17]، من كل ما ذكر تتضح لنا الأهمية الكبيرة للقيم سواء أكان ذلك للفرد أم للمجتمع حيث تشكل القيم الدرع الواقي للفرد من كل ظلم وأنانية، وهي الرباط المخملي الذي يربط أفراد المجتمع، ويحفظ وجوده وتماسكه ويحميه من الزوال.

ج- **دور الأسرة في غرس القيم:** الأسرة هنا تقوم بدور وسيط في نقل التراث الثقافي، وتظل سنوات طويلة هي المصدر الوحيد الذي يتوسط بينه وبين ثقافة المجتمع، ومن هذه الثقافة يمتصّ الطفل كثيرًا من المعايير والحكام التي تؤثر في أسلوب حكمه على المشكلات أو حلّها، لذلك فإن اختلاف تنشئة الأطفال اجتماعيًا يعود إلى اختلاف تفهم الأسرة المختلفة لأنماط ثقافة المجتمع واتجاهاتها نحوها، كما أن نوع الثقافة ذاتها وخبرات الأسرة فيما يتصل بتلك الثقافة وآمالها وطموحاتها بشأنها تتحكم كثيرًا في اختيار الأسرة للقيم والمثل العليا التي تتولى غرسها في أبنائها، كما أن الأسرة هي التي تحدد تحيزات الفرد نحو الآخرين وتقديره لهم أو عدم تقديره فهي التي تنقل إليه تقديرها للطبقات الاجتماعية الأخرى وموقعها الأمر الذي تتعمق به هذه الاتجاهات والتحيزات مع الطفل حتى يصبح راشدًا فتتشكل قيمه[18].

وتعدّ القيم من المفاهيم الجوهرية في الحياة الاجتماعية لأنها تمسّ العلاقات الإنسانية، وكي تنجح الأسرة في عملية غرس القيم يجب أن تدرب أفرادها على عمليات عديدة لتكوين نظرة علمية تساير روح العصر العلمي، والابتعاد عن الخرافات، وتدريب الأبناء على خطوات التفكير العلمي للابتعاد عن القوالب الجامدة لكون المتغيرات سريعة، ولمواجهة المشكلات الناجمة عنها، وعلى الآباء أن يكونوا مؤهلين للتكيف مع الأوضاع الجديدة من خلال اعتماد أسلوب تربوي يساهم في بناء القيم الاجتماعية.

د- العوامل التي تؤثر في التربية الأسرية

الوضع العاطفي للأسرة: هو عامل أساسي وفاعل في البناء الوجداني لشخصيات الأبناء، لأن جوّ الدفء في الأسرة يؤدي إلى الثقة بالنفس وبالأسرة، وشعور بالاطمئنان يؤدي إلى مواجهة المواقف المختلفة مستقبلًا، فالآباء الذين يشبعون حياة الأسرة بالدفء العاطفي ينجحون في أدوارهم التربوية[19].

الوضع الأخلاقي للأسرة: إنّ حقيقة الأخلاق لا تظهر إلاّ من خلال العلاقات، وهنا تكون النماذج التربوية هي القدوة الأخلاقية التي تساعد في بناء السلوك كي يتطور الضمير الناضج المميز للخير والشرّ، إن التربية تقود إلى سلوك أخلاقي وهذا يتم في الأسرة[20].

الوضع الاقتصادي للأسرة: فالأسرة التي تتمتع بمستوى اقتصادي جيد تحقق النمو الجيد، لكن عندما لا تستطيع الأسرة تأمين متطلبات الحياة لأبنائها أو التطرف في الإنفاق يؤدي إلى نتائج تربوية سيئة كالإهمال والتواكل وحبّ الذات وسوء التكيف، لذلك يعدّ الوضع الاقتصادي أحد المتغيرات المهمة لما ينتج عنه من أنماط

سلوكية، وتختلف الأسرة في تعاملها باختلاف المستوى الاقتصادي حيث يظهر ذلك في التنشئة الاجتماعية[21].

الوضع الثقافي للأسرة: يشمل هذا الوضع مجموعة العناصر الثقافية في الأسرة، والتي تعمل في التكوين اللغوي والفكري عند الأبناء، ويدخل في ذلك ثقافة الوالدين، لأن الأسرة هي المجال الحيوي الأول الذي يتحرك فيه الطفل وينمّي قدراته ومواهبه، ولا بدّ من الإشارة إلى أن الاختلاف الثقافي بين جيل الآباء والأبناء أحياناً، يؤدي إلى صراع الأجيال، وفي هذه المرحلة لا بدّ من تفهم الوالدين الحاجات النفسية والاجتماعية للأبناء، ولا سيما للمراهقين، وبخاصة في ظل ثورة المعلومات والاتصالات، وهنا لا بدّ للأسرة من إدراك هذه الحاجات للوصول إلى الأساليب التربوية الصحيحة[22].

هـ- الأساليب التربوية التي تستخدمها الأسرة في بناء القيم الاجتماعية

إن الصورة التي ينشأ عليها الكائن الاجتماعي هي انعكاس للأساليب التربوية التي تلقاها في التربية الأسرية، فالأسرة السعيدة هي التي تنتهج المعاملة العادلة والودية، وتمنح أبناءها مشاعر وجدانية. وهناك أساليب متعددة وكل أسلوب يؤدي إلى نتائج محددة ومنها:

الأسلوب الديمقراطي: الذي يتصف بالتعاون بين أفراد الأسرة، وأن الحقوق مقابل الواجبات.

الأسلوب المتسلط: الذي يتصف بالشدة في ممارسة السلطة الوالدية التي تنقلب إلى تسلط.

الأسلوب المتساهل: الذي يقوم على أساس التسامح المطلق، وغياب التوجيه السليم من الآباء.

الأسلوب المتسيب: غير المسؤول الذي يتصف بالفوضى، ويعيش كل فرد في الأسرة على هواه.

الأسلوب المذعن: حيث يتحكم الأبناء بالأسرة وما على الآباء إلا الرضوخ لمطالبهم.

الأسلوب المتذبذب: حيث لا يثبت الوالدان على نظامها أو سلوكهما نتيجة اختلاف معايير الوالدين.

يتّضح من عرض هذه الأساليب، أن الأسلوب الديمقراطي هو أفضل الأساليب التربوية لبناء منظومة القيم الاجتماعية، حيث التعاون والحرية والالتزام والحقوق والواجبات، من خلال تزويد الأبناء بالمعلومات والخبرات، وتعريف الناشئة بالقيم، والتدريب على ممارستها من خلال تقديم القدوة الحسنة، بالتوافق بين سلوكات الوالدين والأخذ بالقيم الإيجابية، والابتعاد عن القيم السلبية.

ومما يلاحظ في الآونة الأخيرة، أن التفاوت أصبح كبيرًا في التربية الأسرية، من حيث تعريض الأطفال للخبرات الاجتماعية، سواء داخل الأسرة أو خارجها، ولا سيما الاستقلالية الذاتية والتعامل مع الآخرين. فإذا كانت الأسرة تحتل موقعًا متميزًا ودورًا رائدًا في بناء منظومة القيم الاجتماعية، فإن السؤال الذي سوف يضيء على أبحاث علمية جديدة هو:

"هل تستطيع الأسرة في ظروفها الحالية، وأمام ثورة المعلومات والاتصالات وما

أحدثته من تغيرات ثقافية واجتماعية، أن تؤدي دورها التربوي المطلوب، وبما يتوافق مع المعايير الاجتماعية والأخلاقية السليمة؟

***

الهوامش والمراجع:

[1]- **يُعدّ أطروحة دكتوراه في التربية - المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - الجامعة اللبنانية**

[2] علي وطفة، علم الاجتماع التربوي، ص 148.

[3] نجيب اسكندر اسماعيل، ومحمد اسماعيل، الإتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل، ص 134.

[4] ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، ص7.

[5] ابن منظور، لسان العرب، ص78.

[6] ميشيل دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، ص 272.

[7] روي رود جرز، التفاعل والتعامل العائلي، ص35.

[8] صفوح الأخرس، المنهج وطرائق البحث في علم الاجتماع، ص 260.

[9] مصطفى الخشاب، علم الاجتماع العائلي، ص43.

[10] سلوى عثمان الصديقي، قضايا الأسرة والسكان، ص 42.

[11] يوسف ميخائيل أسعد، كيف تعامل زوجتك، ص19.

[12] عبد المجيد منصور، وآخرون، علم نفس الطفولة، ص 86.

[13] عبد المنعم حسين، الأسرة ونهجها التربوي، ص39.

[14] محمد بيومي خليل، سيكيولوجية العلاقات الأسرية، ص 35.

[15] هنا عطية محمود، التوجيه التربوي، ص187.

[16] أحمد المخزنجي، التأهيل التربوي، ص22.

[17] طلعت عبد الحميد، العولمة ودور التربية، ص 5.

[18] ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، ص 62.

[19] فاطمة الجيوشي، وآخرون، فلسفة التربية، ص 22.

[20] زكريا الشربيني، وآخرون، تنشئة الطفل، ص 26.

[21] عصام نمر، وآخرون، الطفل والأسرة، ص 25.

[22] ريمون المعلولي، بنية الأسرة الريفية، ص 53.

***

- المراجع:

- إبراهيم، اسكندر، وآخرون، الإتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل، دار المعرفة، القاهرة، 1977م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة 1979م.
- أسعد، يوسف ميخائيل، كيف تعامل زوجتك، دار غريب للطباعة، القاهرة 1999م.
- بيومي خليل، أحمد، سيكيولوجية العلاقات الأسرية، دار قباء للطباعة، القاهرة 2000م.
- جرز، روى رود، التفاعل والتعامل العائلي، ترجمة بونسو جرجوس، مراجعة ندرة اليازجي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1986م.
- الجيوشي، فاطمة، فلسفة التربية، جامعة دمشق، كلية التربية، دمشق 1981م.
- حسين، عبد المنعم محمد، الأسرة ونهجها التربوي، مكتبة النهضة للنشر، القاهرة 1989م.
- الخشاب، مصطفى، دراسات في اجتماع العائلة، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.
- زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، مركز الكتاب للنشر، مصر 1996م.
- الشربيني، زكريا، وآخرون، تنشئة الطفل، دار الفكر العربي، القاهرة 1996م.
- الصديقي، مصطفى عثمان، قضايا الأسرة والسكان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2001م.
- عبد الحميد، طلعت، العولمة ودور التربية، المنظمة العربية للتربية، تونس 2002م.
- المخزنجي، السيد أحمد، التأهيل التربوي للأبناء، الهيئة العامة للكتابة، القاهرة 1999م.
- المعلولي، ريمون، بنية الأسرة الريفية بين الأصالة والمعاصرة، دار الآفاق العربية، القاهرة 1996م.
- منصور، عبد المجيد سيد، وآخرون، الأسرة على مشارف القرن 21، دار الفكر العربي، القاهرة 2000م.
- منصور، عبد المجيد، وآخرون، علم نفس الطفولة، دار الفكر العربي، القاهرة 1989م.
- نمر، عصام، وآخرون، الطفل والأسرة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 199م.
- وطفة، علي، علم الاجتماع التربوي، منشورات دار المشرق، دمشق 1998م.